# الحلقة الحادية والعشرون

# فتح مكة عز به الإسلام

## بسم الله الرحمن الرحيم

## أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

## السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فنحن الآن مع ذكرى عزيزة خالدة ، ومع حدث هام من أحداث التاريخ الإسلامي ، الذي كان في مثل هذه الأيام من ذلك الشهر المبارك شهر رمضان ، وفى السنة الثامنة الهجرية ، ذلكم الحدث العظيم الذي كان في مثل هذه الأيام ، وغيّر وجه التاريخ ، وسجله الزمن بمداد النصر الكبير ، والذي دّوى في سمع الدنيا كلها ، هو فتح مكة والسيطرة على كل شىء فيها ، والتمكن من إخضاعها لكلمة الإسلام والمسلمين ، والسبب في فتح مكة يرجع إلى أن قريشاً نقضت عهدا بينها وبين الرسول ، وذلك بمساعدتها قبيلة بنى بكر حليفتها ضد قبيلة خزاعة حليفة رسول الله ، وتحريضها لبنى بكر على الثأر من خزاعة ، وإمداد القبيلة الحليفة لها بالأسلحة والمال والرجال ، مما ترتب على ذلك الهجوم على ديار خزانة وقتل عدد كبير من هذه القبيلة المحالفة لرسول الله -عليه الصلاة والسلام-، وعرف الرسول ما حدث من قريش ، من نقض للعهد ، وتحلل مما اتفق عليه من عدم اعتداء ، وخيانة وعدم احترام لما أبرم من اتفاق ، ولما كان الأمر كذلك ، فقد وجد الرسول الفرصة السانحة لغزو مكة وفتحها ، وإيقاف هذا النزيف الذي هو من صنع قريش، وبدأ الرسول في دعوة المسلمين سرا إلى الاستعداد للجهاد في سبيل الله ، وعلمت قريش باستعداد المسلمين للجهاد ، فشعرت بالرعب وأحست بالخوف يسرى في

أوصالها ، ورأت تجنب الدخول في معارك ضد المسلمين ، لأنها لقنت دروسا قاسية من جانبهم ، وأريقت منها الدماء على أيديهم ، ولأنها تعرف قوة المسلمين وبأسهم ولذا رأت قريش أن تبعث زعيمها أبا سفيان من أجل هذا الغرض ، ولكنه أخفق فيما جاء من أجله ، ولم يحقق الهدف الذي كانت تسعى إليه قريش ، وكان لابد أن يفشل ، إذ أن قريشا حاربت الإسلام بكل وسيلة من الوسائل ، وهى إن كانت تطلب السلام فهي لا تطلبه من منطلق صفاء النيات ، فالقلوب كما هي حاقدة، والنفوس كما هي ملوثة ، وروح العداوة كما هي لم تتغير ، وإذاً فدعوتها إلى السلام ليست إلا خداعا ، ومد يدها بالتفاوض ليس إلا تمويها ، ومن أجل ذلك رفضت دعوة قريش .

وأعد الرسول - عليه الصلاة والسلام - حملة عسكرية لغزو مكة ، وجند جميع القادرين على القتال ، وتكتم أنباء الغزو ، وأمر بمراقبة الطرق الموصلة إلى مكة ، وبينما الرسول يعد للغزو في سرية تامة ، وبينما هو يجهز المقاتلين لفتح مكة والذهاب إليها ، إذ بخبر من السماء يأتي إلى رسول الله ، وهو أن حاطب بن أبى بلتعة أحد المسلمين ، قد بعث مع امرأة تدعى سارة ، رسالة إلى قريش يخبرها فيها بأنباء الغزو المرتقب ، بعد أن أغراها هذا الرجل بالمال ، وهنا أرسل النبي - صلوات الله وسلامه عليه - عليا والزبير بن العوام ليلحقا بهذه المرأة التي كانت تخفى الرسالة في شعرها ، واستدعى حاطب ، وناقشه الرسول في جريمته ، فقال له : إنه لم يفعل ذلك ارتدادا عن الدين ولا خيانة له ، وإنما أراد أن يكسب رضا قريش لترعى أهله الضعفاء بمكة ، وأراد على - كرم الله وجهه أن يدق عنق حاطب جزاء له على خيانته ، ولكن الرسول صلوات الله وسلامه عليه حال بينه وبين ذلك ، وقال عندئذ :

- لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر ، ثم قال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم .

وقد انزل الله - تعالى - في القران الكريم بخصوص هذا الموضوع قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم

بالمودة﴾

( الممتحنة : ١ ).

وعفا الرسول - عليه السلام - عن حاطب ، ولم يعاقبه على ما حدث منه، نظرا لمواقفه السابقة في ميادين الجهاد ، ولأن الله أطلع الرسول على ما تحمله المرأة ، وحال بينها وبين الوصول إلى مكة ، ولم يتحقق الهدف الذي من أجله كانت الرسالة ، فالعفو إذاً نابع من منطلق الشكر لله على إخفاق تلك المهمة ، وعلى أن هناك حراسة ربانية ، وترتيبا إلهيا لصالح الدعوة الإسلامية .

وأمر الرسول - عليه السلام - بإعلان الاستعداد القتالي من جانب المسلمين لدخول مكة ، وخرج - عليه السلام - على رأس جيش كبير قوى ، جيش الإيمان والتوحيد ، وجند العقيدة والثقة في نصر الله ، وكان الرسول مسرورا كل السرور لارتفاع الروح المعنوية لدى المسلمين بشكل ملحوظ وصورة أوسع عمقا وأكثر إيجابية . . وسلك الجيش الإسلامي دروبا بين الجبال لم تكن مطروقة من قبل ، وسار في خفة وحركة ومنظر يسر من يراه ، ومشى هذا الجيش يظلله الإيمان ، ويدفعه إلى مكة هدف نبيل ، وقد حرص المسلمون على ألا يصدر عنهم صوت ولا ضجيج ، أو دق طبول أو جلبة ، حتى لا يعرف المشركون شيئا عن تحركاتهم ، ولكي يفاجئوا أهل مكة بدخولهم حاملين راية النصر معهم ، ومطوقين مكة ومسيطرين على كل بقعة فيها ، وخرج أبو سفيان للقاء رسول الله ، وشفع له العباس عم رسول الله ورأى أبو سفيان جند الله وكتائب الإيمان ، وأدرك قوة الإسلام والمسلمين ، وعرف بما لا يدع مجالا للشك أنهم على حق وصواب ، وأن ظل الإسلام يمتد ويمتد ، وقد كان هذا الذي شاهده آبو سفيان محركا لضميره ، ومقوما لتفكيره ، ومنيرا لقلبه ، ولذا أعلن إسلامه ، ودخل في هذا الدين العظيم ، وأصبح من عداد المسلمين ، بعد أن كان حربا عليهم ومعاديا لهم ، ومحرضاً على قتالهم والانتقام منهم ،

وقد أكرمه الرسول بأن جعل داره دار أمان ، فمن دخلها من الكفار بعد دخول الجيش الإسلامي إلى مكة فهو آمن ، وقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان إلى قريش ، ليخبرها بقدوم هذا الجيش الإسلامي الكبير إلى مكة ، وأنه ليس في استطاعة قريش أن تتصدى له ، وليس بوسعها أن تقاوم هذا الزحف العظيم ، وليخبرها كذلك ، بأنه من دخل المسجد الحرام واحتمى به فهو آمن ، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن .

إنه لنصر كبير من الله ، وإنه الترتيب الرباني لدخول مكة في الوقت المناسب والذي هو في علم الله ، وفى الحلقة اللاحقة سأكمل الحديث عن هذا الفتح الظافر بمشيئة الله، والله الموفق والمعين .